

تفسير البحر المحيط

@ 142 .

فارعى فزارة لا هناك المرتع .

وقياس تخفيف هذا التسهيل بين بين ، وتقريرهم على رؤية بدء الخلق في قوله : { أَوَ لَمْ يَرْوَوْا } ، وفي : { فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ } ، إنما هو لمشاهدتهم إحياء الأرض بالنبات ، وإخراج أشياء من العدم إلى الوجود ، وقوله : { ثُمَّ يُعِيدُهُ } ، وقوله : { ثُمَّ اللَّاهُ يُنْشِئُهُ } ، ليس داخلاً تحت الرؤية ولا تحت النظر ، فليس { ثُمَّ يُعِيدُهُ } معطوفاً على يبدء ، ولا { ثُمَّ } * { يُنْشِئُهُ } داخلاً تحت كيفية النظر في البدء ، بل هما جملتان مستأنفتان ، إخباراً من الله تعالى بالإعادة بعد الموت . وقدم ما قبل هاتين الجملتين على سبيل الدلالة على إمكان ذلك ، فإذا أمكن ذلك وأخبر الصادق بوقوعه ، صار واجباً مقطوعاً بعامة ، ولا شك فيه . وقال قتادة : { أَوَ لَمْ يَرْوَوْا } ، بالدلائل والنظر كيف يجوز أن يعيد الله الأجسام بعد الموت ؟ وقال الربيع بن أنس المعنى : كيف يبدأ خلق الإنسان ثم يعيده إلى أحوال آخر ، حتى إلى التراب ؟ وقال مقاتل : الخلق هنا الليل والنهار . وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : النشأة هنا ، وفي النجم والواقعة على وزن فعالة ؛ وباقي السبعة : النشأة ، على وزن فعلة ، وهما كالرأفة والرأفة ، وهما لغتان ، والقصر أشهر ، وانتصابه على المصدر ، إما على غير المصدر قام مقام الإنشاء ، وإما على إضمار فعله ، أي فتنشئون النشأة . .

وفي الآية الأولى صرح باسمه تعالى في قوله : { كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّاهُ الْخَلْقَ } ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّاهُ الْخَلْقَ } ، وهنا عكس أضمر في بدا ثم أبرزه في قوله : { ثُمَّ اللَّاهُ يُنْشِئُهُ } ، حتى لا تخلو الجملتان من صريح اسمه . ودل إبرازه هنا على تفخيم النشأة الآخرة وتعظيم أمرها وتقرير وجودها ، إذ كان نزاع الكفار فيها ، فكأنه قيل : ثم ذلك الذي بدأ الخلق هو الذي { يُنْشِئُهُ النَّشْأَةُ الْآخِرَةُ } ، فكان التصريح باسمه أفخم في إسناد النشأة إليه . والآخرة صفة للنشأة ، فهما نشأتان : نشأة اختراع من العدم ، ونشأة إعادة . ثم ذكر الصفة التي النشأة هي بعض مقدوراتها . ثم أخبر بأنه { يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ } ، أي تعذيبه ، { وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ } رحمته ، وبدأ بالعذاب ، لأن الكلام هو مع الكفار مكذبي الرسل . { وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ } : أي تردون . وقال الزمخشري : ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن ، وهو يستوجبهما من الكافر والفساق إذا لم يتوبا ، ومن المعصوم والتائب . انتهى ، وهو على طريقة الاعتزال .

{ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ } : أي فائتين ما أراد الله لكم . { فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ } ، إن حمل السماء على العلو فجائز ، أي في البروج والقلاع الزاهية في العلو ، ويكون تخصيصاً بعد تعميم ، أو على المظلة ، فيحتاج إلى تقرير ، أي لو صرتم فيها ، ونظيره قول الأعشى : % (ولو كنت في جب ثمانين قامة % . ورقيت أسباب السماء بسلم .

. %)

ليعتورك القول حتى تهزه .

وتعلم أنني فيك لست بمجرم .

. %)

وقوله تعالى : { إِنَّ اسْتَطَاعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ * السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } ، على تقدير الحكم لو كنتم فيها ، { وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا } . وقال ابن زيد ، والفراء : التقدير : ولا من في السماء ، أي يعجز إن عصى . وقال الفراء : وهذا من غوامض العربية ، وأنشد قول حسان : % (فمن يهجو رسول الله منكم % . ويمدحه وينصره سواء .

. %)

أي : ومن ينصره ، وهذا عند البصريين لا يكون إلا في الشعر ، لأن فيه حذف الموصول وإبقاء صلتة . وأبعد من هذا